مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 04 العدد 06 (20) 2024/11/15
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

# رواية (دم الحسين)
# قراءة في ضوء التاريخانية الجديدة

أ.د. محمد فليح الجبوي [1] *
[1]عميد كلية التربية الاساسية – جامعة المثنى ( العراق )
.kmf19682005@mu.edu.iq
أ. د. فوزية لعيوس غازي [2]
[2]كلية التربية للعلوم الانسانية– جامعة المثنى ( العراق )
fuozuh@mu.edu.iq

تاريخ الارسال : 2024/10/02 تاريخ القبول: 2024/11/03

**الملخص**

توظف رواية (دم الحسين) لإبراهيم عيسى واقعة الطف التي تسمى أيضا واقعة كربلاء بوصفها ثيمة رئيسة للنص الروائي متن الدراسة، وعلى الرغم من هيمنة نصية التاريخ على مجري الحكي نجد الكاتب استطاع أن يَعْبُرَ به الى ضِفاف تاريخية النص، ونريد به أن يُحافظ النص على حدوده الاجناسية وإن طغت عليه اللعبة التاريخية ولا نقول الصيغة؛ لأن الكاتب أرادها لعبة قصداً وليس صيغة لغاية فنية، وهنا يكون الروائي قد وظف النص التاريخي في خدمة النص الروائي وليس العكس، فالرواية لا تؤرخ للحدث التاريخي بقدر ما توظف التاريخ في خدمة مسيرة الحدث الروائي، وعلى الرغم من هيمنة الحدث التاريخي على الرواية الا انها تبقى تدور في فلك أو إطار الرواية السردية لا التاريخية؛ لوضوح غاية المبدع من استحضار هذه الحادثة التاريخية دون غيرها.

فهذه الدراسة الموسومة بـ (رواية (دم الحسين) قراءة في ضوء التاريخانية الجديدة) هدفها بيان القراءة التأويلية والأسئلة المسكوت عنها في مواضع السرد الروائي وكيفية توظيف الحادثة التاريخية في بناء حبكة الرواية، فقام البحث على محاور عدة تناولت مفهوم التاريخانية الجديدة وما يتعلق بسماتها وكذلك تاريخية

* المؤلف المرسل: أ.د. محمد فليح الجبوري ، الايميل: kmf19682005@mu.edu.iq.

الرواية، وآليات انتاج المعنى السردي من الوثيقة التاريخية فضلا عن الصراعات النفسية الأيديولوجية والنسق المتخيل الذي تجلت فيه الثيمة الرئيسة في الرواية على الرغم من صغر مساحته الكتابية.

توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: وعي الكاتب بأهمية الحادثة التاريخية في بناء النص الروائي وشيوع الصراع النفسي والايديولوجي على شخوص الرواية الرئيسة، وتعيين النوع السردي على تجنيس هذه الرواية، فضلا عن محاولة القاص على عدم الاستسلام للحادثة التاريخية كما هي بل على العكس من ذلك فيعمد الى مناقشتها وتفنيدها في أحايين كثيرة.

الكلمات المفتاحية: رواية، دم الحسين، التاريخانية، الجديدة

**المقدمة**

يأخذ التأريخ مكانة هامة في سجل تطور الرواية العربية الحديثة، إذ يرى كثير من النقاد أن الرواية العربية بدأت تاريخية في كينونتها الأولى، ومن ثمَّ بدأت تحبو إلى حيث التوجه نحو الموضوعات الواقعية والرومانسية والفلسفية والرمزية، وقد مثل هذا التطور خير تمثيل نجيب محفوظ إذ كتب في كل الموضوعات المتقدمة، الا أن النزوع نحو التاريخ انحسر منذ زمن مبكر، وربما تكون أربعينيات القرن العشرين هي أبعد مدى استطاعت أن تصمد إليه الرواية التاريخية، إلا أن هذا الأمر لا يعني غياب تقانة التجريب– ولاسيما في توظيف التاريخ – عن الرواية العربية مطلقاً، بل نجد أن التاريخ كان حاضرا في مناسبات عدة ليطل برأسه في النص الروائي ثم يختفي فلا يمثل ثيمة رئيسة في تلك النصوص الرواية بل يأتي بوصفه أداةً وليس غايةً، إلا أن هذا الأمر اختلف مع ما جاءت به رواية (دم الحسين) لإبراهيم عيسى؛ وذلك يعود إلى أنها وظفت التاريخ وسيلة وغاية مع الحفاظ على أصل الوثيقة التاريخية من خلال الإحالة على مصادرها الحقيقية وفي الوقت نفسه فإنها لا تستسلم لما ورد في هذه الوثيقة بل تحاورها وتناقش ما جاءت به؛ لتصل إلى تفنيدها في أكثر من موقف، فالنص الادبي يفصل بين النص التاريخي الخالص والنص الادبي الذي يوظف التاريخ لخدمة ثيمة وموضوعاته، فضلا عما ورد نجد أن الروائي اختار حادثة تاريخية هامة، هزت كيان المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت ولم ينته أثرها إلى يومنا هذا، ولا نغالي إذا قلنا: إنها الحادثة التي قصمت ظهر الإسلام الا وهي حادثة واقعة الطف في كربلاء.

لكل ما تقدم تتأتى أهمية هذه الرواية وهذا البحث في آن واحد، والذي جاء بعنوان رواية (دم الحسين) قراءة في ضوء التاريخانية الجديدة) ونريد بمصطلح التاريخانية الجديدة هو محاولة قراءة النص الأدبي وفقاً

لمعطياته الفكرية والتاريخية التي لا محال من حضورها الحتمي في تكوين النص الابداعي، بما يجعله على مساس في التعبير عن صراع القوى الاجتماعية المراد الكشف عنه من خلال توظيف أدوات الهدم والتقويض والمساءلة، ومن ثم الكشف عن المضمر وتفسير الجلي في النص الأدبي ، وربط كل ذلك بالحاضر الآني الذي تمر به الأمة.

يقوم البحث على منهجية المحاور إذ مثلت هذه المحاور الموضوعات الأكثر إشكالية في الرواية، فضلا عن تقديم تنظيري بما يخص خط سير التاريخانية الجديدة وما يتعلق بها من سمات وتاريخ، فضلا عن علاقة التاريخ بالرواية وكيفية بناء الحدث التاريخي من خلال أدوات السرد الروائي، موضوعات أخرى تضمنها البحث.

**التاريخانية الجديدة المفهوم**

التاريخانية الجديدة هي إحدى التيارات النقدية التي ظهرت بعد تقهقر مناهج ما بعد الحداثة مثل البنيوية والشعرية والشكلانية وغيرها من المناهج النصية – على مستوى الاهتمام على الأقل– أبان العقد السابع من القرن العشرين، فظهرت على الساحة النقدية تيارات ومناهج تحاول تجاوز ما وقعت به تلك المناهج ومنها التاريخانية الجديدة، فكان ظهورها في العقد الثامن من القرن نفسه وكان ذلك على يد ستيفن جرينبلات الذي اجترح لها المصطلح نفسه في عام 1982، وهي نقيض التاريخانية القديمة وتسمى المبكرة التي كان ظهَورها في القرن التاسع عشر الميلادي، والتي اتسمت بما يأتي:( حمداوي،2012، شبكة الالوكة).

- أنها قدمت قراءةً ذاتيَّة وأيديولوجيَّة للأحداث التاريخية.
- عملت على مُقاربةً شخصيَّة، جعلتها في خدمة الأيديولوجيا السائدة؛ حيث عملت على نَشْر الوعي الزائف، وترويج التفكير المغلوط.
- عملت على تعزيز العنصرية والعصبيات العرقية من خلال تسييد الأبيض، وتَهميش الأسود.
- الإشادة بالمؤسَّسات الثقافيَّة والسياسيَّة الحاكمة.
- الاهتمام بالبطولات الفرديَّة للشخصيَّات الكاريزميَّة والملحميَّة، وذلك في إطار مجموعة من المرْويَّات والخطابات السرديَّة التي كانت تتَّسم بالمبالغة والخيال، والكذب والهُراء.

جاءت التاريخانية الجديدة نقداً للتيارات الشعريَّة والبنيويَّة، والمناهج النصيَّة الأخرى، التي كانت تُعنى بشكلٍ من الأشكال بالبنيات المجرَّدة، وفي الوقت ذاته عملت على تقويضٍ المدارس الفنية والجماليَّة.

وهي اليوم تُعد من أهم التيارات النقدية التي ظهرَت بعد انهيار البنيوية، وتضم عددا من العناصر التي هَيْمَنت على اتِّجاهات نقديَّة كالماركسيَّة، والتفكيك إضافةً إلى ما توصَّلت إليه أبحاث الانثروبولوجيا الثقافية التي تهتم بدراسة الثقافات التي يتعرض لها الأفراد وتنوعها، ومدى تأثيرها على حياة الناس.

ويُعرف النقاد التاريخانية الجديدة ومنهم ستيفن جرينبلات على أنها تلك القراءة الفاحصة التي تسعى الى استعادة القيم الثقافية التي امتصها النص الأدبي، والمتضمنة بداخله السياق الذي تم انتاجه من خلاله، لتكوين صورة لثقافة ذلك العصر الذي انتج النص ( الرويلي، 2007، 80) ، ويعرفها جون برانيغان بأنها "نَمَط تفسير نقدي، يُعطي الامتيازات لعلاقات السلطة بكونها أهمَّ سياقٍ لجميع النصوص على الإطلاق"(كارتر، 2010، 148) ، فهي"تُعامل النصوص الأدبيَّة بوصفها المكانَ الذي نجد فيه علاقات السلطة تُصبح مَرئيَّة"( بريغان،4،1988) فالسلطة في هذا التعريف بحسب جميل حمداوي هي بمفهومها عند ميشيل فوكو التي تَسمح للشخص بالاعتقاد بأنه حرٌّ وقادرٌ على اتِّخاذ قرارات مُستقلة. في حين نجد دونكان سالكيلد يعرفها على أنها "مجموعة من الآراء – من المذهب المادي والماركسي والنسوي– التي تقول بضرورة تفسير العمل الأدبي في ضوء الظروف التاريخية التي تمخض عنها"(الماشطة، 2016، 172 ) ويرى ستيفن جرينبلات أن "التاريخانية الجديدة لا تَفترض العمليَّات التاريخية على أنها غير قابلة للتغيير وعنيدة، ولكنَّها لا تَميل إلى اكتِشاف حدودٍ أو قيود مفروضة على التدخُّل الفردي"( جرينبلات، 1990، 6) فالحادثة التاريخية هي حادثة مرنة ولا تمتاز بالثبات وكان جيرنبلات يحاول أن يسحب النص التاريخي لساحة النص الأدبي الذي لا يشتغل على الحقائق الواقعية بقدر اشتغاله على القراءة المخيالية والفرق شاسع بينها، فالأخيرة حقيقية يفترضها ويفرضها خيال الكاتب، والأخرى الحقيقة المعروفة بمعناها العرفي والايديولوجي الديني.

**سمات التاريخانية الجديدة**

للتاريخية الجديدة سمات عدة أجملها جميل حمداوي في أكثر من مناسبة بحثية يمكن ايجازها بالآتي:

- التاريخانية الجديدة هي قراءة علميَّة موضوعيَّة إلى حدٍّ ما، تَمتح آليَّاتها المنهجيَّة ومُعطياتها الاستقرائيَّة والاستنباطيَّة من التاريخ، والسياسة، والأنتروبولوجيا، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الثقافة.
- تعمل على استكشاف الأنساق التاريخيَّة والثقافية المضمرة؛ بُغية تَفكيكها وتقويضها، وتَعْرِية خطابات المؤسَّسات الحاكمة، والمراكز المهيمنة؛ تَشتيتًا وتأجيلاً.
- تتجاوَز المرويَّات والسردِيَّات التاريخيَّة، التي كانت تُعبِّر عن أيديولوجيَّات السلطة، أو الفئة المهيمنة، أو الطبقة الحاكمة.
- تَستند التاريخانية الجديدة إلى لغة التفكيك والتشريح، وتقويض تاريخ المقولات المركزيَّة.
- فَضْح الأوهام الأيديولوجيَّة السائدة في المجتمع، وتَعْرية أساطير المؤسَّسات الثقافيَّة الحاكمة.
- التاريخ لديها هو عنصر غير متجانس وغير متطوِّر بشكلٍ مُتَسلسل كرونولوجي، بل تجده تاريخاً مُتَقطعاً، يعرف مجموعة من الثَّغرات والبياضات؛ حيث تُهَمَّش فيه فئات، وتَسود أخرى؛ لذلك يَتقابل عندها التاريخ المنسي مع التاريخ الرسمي الذي يُعَبِّر عن الطبقات الحاكمة التي تسود المجتمع.
- تنظر الى التاريخ على أنه تأرخين: تاريخ السُّلطة وهي السلطة الحاكمة بمفهومها العام لا الخاص، وتاريخ الشعوب أي تاريخ المهمشين وتاريخ الحواف. (حمداوي، 2012).
- حاكمية السياق التاريخي في معالجة النصوص الأدبية فنياً، وحجتها أن هذه النصوص هي نتاج ظروف تاريخية من حيث الشكل والمضمون.(الماشطة، 2016، 172).

وتقوم التاريخانية الجديدة على فرضية أن العمل الأدبي نتاج مكان وزمان وظروف تأليفها؛ لهذا يرفض اصحابها استقلال الأديب وعمله، ويصرون على أن العمل الأدبي لا يمكن أن يقرأ ويفهم بمعزل عن ظروف ومكان وزمان تأليفه، ويؤكدون في نفس الوقت ضرورة قراءته وتفسيره في ضوء السياقات الاجتماعية والتاريخية، منطلقين من مبدأ أن العمل الادبي لا يعكس الحقيقة بل يعكس صيغاً فكريةً.(الماشطة، 2016، 172) .

**علاقة المتن بالمنهج**

مما لاشك فيه أنَّ التاريخانية الجديدة لا تستجيب لكل النصوص الابداعية بل تشترط مواصفات خاصة لمتونها كي تكونه أدواتها فعّالة في تحليلها، ولعل من أهم تلك السمات التي تَحملها تلك المتون البنى الجماليَّة والدلالات الرمزيَّة، والرسائلَ المضمرة، والخطابات التصريحية منها أو التلميحية، لتضرب موعداّ مع سياقاتها التاريخية والاجتماعية، والسياسية والأيديولوجية.

فالتاريخ بحسب التاريخانية الجديدة ليس مجرد حقائق موضوعية ثابتة، بل أنه يشبه الأدب الذي يتفاعل في نص بحاجة الى تفسير، فهو نموذج مستقر ومتجانس من الحقائق والحوادث التي تهيئ خلفية للنص الأدبي الذي يعكسها، فالنص جزء من سياقه، وفي تفاعل متواصل مع شبكة المعتقدات والممارسات.( .(الماشطة، 2016، 172) ). ويؤكد جرينبلات على الممارسات الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالنص كونه نتاج التفاعل والتبادل الثقافي مع التاريخ، فالتاريخ لا تتم معرفته إلا من خلال سياقاته اللغوية، وكذلك الأدب لا يمكن أن يُفهم الا من خلال سياقه التاريخي، وهو ما يعرف بتاريخية النص أو نصية التاريخ.( .(الماشطة، 2016، 174) ).

ولعلنا لا نذهب شططا إذا لزمنا القول إن رواية (دم الحسين) لإبراهيم عيسى تمثل اختيارا سردياً ناجحاً لهذا التوجه النقدي، فهي تستجيب لاشتراطاته بشكل لافت، وكأنها أُبدعت لأجله من دون تمحل أو قصد، بل نجد أن وعي الكاتب بثيمة مأساة واقعة كربلاء ووضعها التاريخي وظروفها السياسية الاجتماعية والموضوعية كان الأكثر تعبيرا عما تعيشه المجتمعات العربية الآن من وضع ايديولوجي وسياسي مزر أراد الروائي التعبير عنها، كل ذلك جاء متوافقاً مع ماهية هذا التوجه النقدي الحداثوي.

المتن السردي هنا – موضع الدرس- يأتي تَعبيراً حقيقياً عن حِقبة تاريخيَّة بكل أبعادها الأيديولوجيَّة، وتقلباتها السياسيَّة والطبقيَّة، ولذا فـ "لم يعد النص الروائي نصاً أحادياً، لما يتضمنه من أبعاد ثقافية وفكرية مختلفة"(الجبوري، 2022، 358) ، فالكاتب يعي تلك الأبعاد فيدلف لمعالجة مأساة الحاضر من خلال استحضار الماضي ويقارن بينها فلا يجد أنهما يختلفان الا بطبيعة الزمن والاشخاص، ويتحدان في السلوكيات السياسية والتوجهات الايديولوجية، وكأن الزمن توقف تماماً، فمعدل التعطيل كان بأقصى حالاته، والأمر لا يختلف مع الحدث، فالتوقف شمل الانسان والزمن بالوقت نفسة، فالمسافة الزمنية بين مأساة الأمام الحسين عليه السلام والوقت الحاضر هي صفر؛ لأننا اليوم نعيش المأساة نفسها ولكن بضحايا جدد و بسيوف

جلادين لا يختلفون عما كان عليه جلاد الأمام الحسين عليه السلام في سنة 61هـ، فالمعالجة هي ليست ايديولوجية قد يتوهمها البعض، بل هي معالجة اجتماعية سياسية بامتياز، تجلى فيها اهتمام الكاتب كما يقول مونتروز بين تاريخية النص ونصية التاريخ. .(الماشطة، 2016، 171) .

**آليات التاريخانية الجديدة**

في خمسينيات القرن الماضي وستيناته ساد التوجه البنيوي في النقد الغربي وأصبح الموضة التي يتشدق فيها أغلب النقاد على اختلاف مشاربهم، إلا أن سرعانا ما هوى هذا النقد بفضل أحادية الإجراء والتوجه، وعزل النص عن محيطه، وسيادة سلطة النص على السلطات الأخرى، ولمعالجة هذه الأُحادية أخذ النقاد ينزاحون الى التفكير بتكاملية الآليات النقدية فلا يمكن أن يستجيب المتن لمنهج واحد أو لإجراءات نقدية ذات توجه واحد، وإن كُتب لها النجاح في توجه واحد فأنها ستخفق في الاشتغال على الجوانب الأخرى، وقد وعى اصحاب التاريخانية الجديدة هذا الأمر فلم يسيروا باتجاه فلسفة واحدة أو نظرية نقدية واحدة بل ذهبوا صوب مناهج ونظريات شتى جمعت بين السياقي والنصي والثقافي ومن ثمَّ فهي خليط من مناهج شتى حاولت أن تهتم بالظروف التاريخية والحضارية للإنتاج الأدبي ومغزاه وتأثيره ونقده. .(الماشطة، 2016، 171) والتاريخانية الجديدة بحسب جميل حمداوي تُحاول (دراسةَ النص الأدبي، لا باعتباره وثيقةً تاريخية، بل تُدرسه على أنه بِنية جمالية وشكليَّة، تتضمَّن بِنًى تاريخيَّة وثقافيَّة لاشعوريَّة، يُمكن استكشافها وتحليلُها تحليلاً علميًّا مَبنيًّا على التفكيك والتركيب، مُستعملة في ذلك البنيويَّة، والتأويليَّة، والتَّفكيكية، وجماليَّة التلقِّي، وغيرها من المناهج النقديَّة والفلسفيَّة الصالحة لمقاربة النصوص الأدبية والخطابات الإبداعيَّة).(حمداوي، 2012) فالتاريخانية الجديدة تدرس النصَّ الأدبي في سياقه التاريخي والثقافي؛ لاستكشاف الأيديولوجيا، ورَصْد القوى الاجتماعيَّة التي تُشَكِّل النصَّ؛ لأنَّ الدَّلالات داخل النص أو الخطاب الأدبي، تتغيَّر حسب المتغيرات التاريخيَّة والسياسيَّة، والثقافية والاجتماعية، وبالتالي تعمل التاريخانية الجديدة على تفكيك تلك الدَّلالات المتضاربة والمتناقضة والمختلفة، وذلك بالتشتيت والتقويض والتأجيل.( حمداوي، 2012) وهي هنا أقرب الى مناهج ما بعد الحداثة منها الى المناهج السياقية بفعل هيمنة فلسفة التفكيك والفلسفات التي تناهض المركزية وتذهب باتجاه الهامش؛ بفعل ظهور التوجهات المناوأة للسلطة والانحياز نحو الشعوب والحكومات الديمقراطية، والفئات المهمشة ثقافياً.

**الفرق بين المنهج التاريخي والتاريخانية الجديدة.**(الماشطة، 2016، 170- 187، الرويلي، 80-82)

مما لاشك فيه أن كلا من المنهج التاريخي والتاريخانية الجديدة منهجان يمتحان من نهر التاريخ سواء أكان تاريخ انتاج النص الادبي أم توظيف الوثيقة التاريخية، بيد أنهما يختلفان في التوجه والإجراء فضلا عن الأهداف والغايات والانوجاد، فأول من دعى الى تطبيق المنهج التاريخي على دراسة الفنون والادب هو الناقد والمفكر الفرنسي فرديناند برونتير (1849-1906) وكان ذلك في القرن التاسع عشر ، إلا أن التطبيق والتأسيس الاول يبقى حسب النقاد الى سانت بوف وهيبولت تين اللذان آمنا بأن الادب ليس الا نتاجاً لشخصية الفرد، وبقدرات هذه النظرية على دراسة النص الادبي بفعالية عالية( قطوس،206، 43-45) فهذا المنهج يعتمد الوثائق التاريخية والمصادر الأولية التقليدية مثل الرسائل والمذكرات لفهم النص الادبي ، منتهجاً خطَ سيرٍ تتابعي للإحداث التاريخية، من أجل تقديم رواية متسقة حدثياً ، مسلطا في الوقت نفسه جهوده على ابراز الحقائق تماشياً مع الفهم اللغوي لمصطلح التاريخ، وأن الشخصيات التي يتعامل معها هذا النقد إنما هي الشخصيات السلطوية الأكثر بروزا، ويكون سؤاله الاهم الذي يطرحه على النص هو (ماذا حدث؟ ومتى حدث؟)، وهو غالبا ما يعتمد رؤية واحدة مكتفياً بذاته، بيد أنه ينظر إلى التاريخ كحقيقة لا علاقة لها بالواقع المعاش، فيكون تفسيره للأحداث يعتمد السبب والنتيجة، في حين يكون تركيزه موضوعياً على التحولات الكبرى مثل الثورات والحروب، فضلا عن اعتماده التحليل الموضوعي، فالمؤرخ لديه ناقلاً للحقيقة فقط.

أما التاريخانية الجديدة فتركز على إعادة تفسير التاريخ من خلال سياقات اجتماعية وثقافية وسياسية مختلفة، وتعتبر أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث بل هو عملية معقدة تتعلق بالتفسير وتعتمد في سبيل تحقيق ذلك على مناهج نقدية عدة، وتستهدف التاريخانية الجديدة سؤال ال(كيف)، كيفية فهم التاريخ وتأويله؟ بدلا من سؤال ال(ماذا) وال(متى) التي اعتمدها اصحاب المنهج التاريخي، وعلى عكس خطية الزمن تتبنى التاريخانية الجديدة الزمن بوصفه عملية معقدة، يمكن أن تتداخل فيها الأحداث وتؤثر بعضها في بعض، ليكون مدار كل ما تقدم الفئات المهمشة، مثل النساء، والأقليات، والمجتمعات المحلية، في حين تعمل على هدم السلطة وتقويضها، موظفة في ذلك مناهج نقدية متعددة بما في ذلك المناهج الاجتماعية، والنفسية، والثقافية والماركسية والتفكيكية والنقدي النسوي وغيرها من المناهج في ذلك تحليل النصوص، وأساليب سردية غير تقليدية مثل السرد المتعدد بخلاف المنهج التاريخي الذي اكتفى بمنهج اجرائي واحد.

تذهب التاريخانية الجديدة إلى أن فهم الحادثة التاريخية وتوظيفها في ثيمة النص الأدبي يمكن أن يؤثر بشكل مباشر على كيفية فهمنا لما يحدث في الحاضر وما سيحدث في المستقبل، وهو ما حصل في رواية (دم الحسين) ليوظف الروائي واقعة الطف بكربلاء في معالجة حلة الظلم وتجبر الحكام المستبدين على الشعوب، فحادثة كربلاء هي حادثة كل الازمان فما زال صداها الى يومنا هذا، وستبقى الى يوم الدين ليس بوصفها قضية ايديولوجية بقدر ما هي قضية اجتماعية وسياسية. ويضل التاريخ في منهج اصحاب التاريخانية الجديدة هو الأكثر عمقاً من كونه حادثة تاريخية عابرة، ولابد من النظر في السياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي انتجت النص، ودفعت الكاتب الى توظيف تلك الحادثة دون غيرها.

إن تجاوز التاريخانية الجديدة رتابة البحث الكلاسيكي المنهج وفقاً لآليات يعدَّها بعضهم رجعية، دفع بها إلى مفارقة رتابة العرف الاكاديمي في تحصيل مصادرها، فوسعت من مساحة مفاتشتها إلى ساحة الأدب والفن والسينما والتواصل والشهادات الشفاهية، بغية العمل على غنى مساحة الأصوات فيها، مؤكدة على أهمية التحليل النقدي التفاعلي وصولا إلى نتائج تعتمد التفسير والتأويل، مما يفسح المجال للتأمل المعرفي.

**1- الحدث التاريخي وغواية القصص**

تعنى نظرية الانواع السردية بتحديد النوع السردي للرواية وان تعالت صيحات بعض النقاد إلى أن النص الروائي " مفتوح على الأنواع أو الأجناس وبالتالي لا نوع له"( يقطين، 2012، 150) ويؤيد سعيد يقطين فرانسوا راسيتي قوله: إن النوع " هو ما يربط نصاً بخطاب"( يقطين،2012، 151) إلا ان ذلك لم ينه المشكلة ولا يحلُ إشكالاً، فتحديد نوع الرواية نسبة إلى نوع الخطاب لا يحسم مسألة الاجناس، فظلت عائمة.

تلتبس الهوية النصية لمنجز الكاتب ابراهيم عيسى (دم الحسين) بين الرواية والكتاب، وإن وجدنا اشارة تدل على جنس الكتاب بأنه رواية، وموضع ذاك في الغلاف الخارجي للطبعة التي اعتمدها الباحثان في الدراسة وهي الطبعة 26، إلا أن هذه المفردة لا تتكرر داخل العنوان الداخلي كعادة الروايات الأخرى، وقد لا يتوافر هذا التوصيف في الطبعات الأخرى ولا سيما الإليكترونية منها حسب اطلاعنا على بعض الطبعات؛ وبما أن كاتب النص ينطلق من التأريخ في بنائه المعماري لهذا النص، إذ يسعى لغاية ما من خلال توظيف أدوات النص السردي ولاسيما الروائي، نجد من الأولى أن نتعامل معه بوصفه نصاً روائياً ولا نكتف بهذا الوصف فنقول بتميزه، وتكمن سمات هذا التميز بأن الكاتب لم يسلم بما جاد به التأريخ العربي الإسلامي

المتمثل في اوثق مصادره التي اعتمدها الكاتب في توثيق الحادثة التاريخية ، فهو لم يتعامل مع التاريخ بوصفه حقائق ثابتة بل تعامل معه من زاوية المؤمن بأن المدونة التاريخية الإسلامية التي بين أيدينا إنما هي مدونة السلطة بمعناها السياسي والثقافي على حد سواء، إنه التاريخ الذي كتبته السلطة أو التي اشرفت على كتابته وارتضت به، أو الذي كُتب من أجل السلطة طمعاً فيها أو خوفاً منها؛ ولذا فالنص لا ينيخ تحت خيمة التأريخ بقدر ما يعالج اشكاليات الحاضر من خلال الحادثة التاريخية الأبرز والأخطر في التاريخ الإسلامي والتي أحدثت انعطافة كبيرة في كينونة الدين الإسلامي والمجتمع الإسلامي على حد سواء، إذا ما استبعدنا مفهوم الدولة الاسلامية.

ومما لا شك فيه أن إبراهيم عيسى كان على وعي تام بما كتب من منطلقين: الأول أن نصه هذا يقوم على تقانات بناء النص الروائي من توظف للزمن والمكان والحدث والشخصيات، والآخر أنه حاول أن ينقل الحادثة التاريخية من لحظتها الآنية التي وقعت فيها الى المتخيل السردي الذي جمع بين الماضي والحاضر في وقت واحد وفي عمل سردي واحد، محاولاً إعادة إنتاج المادة التاريخية من وجهة نظر معاصرة تتعاطى مع المحتوى برؤية مختلفة ومدعمةً بتراكم ثقافي كبير يبلغ امتداده على طول الزمن الفاصل بين لحظة تدوين الحادثة التاريخية الى زمن إنتاج النص الروائي.

تاريخية الرواية

يبني الكاتب إبراهيم عيسى روايته (دم الحسين) على مستويين:

- الأول تاريخي –يشغل جل الرواية–يحكي حدثاً تاريخياً مستقى من المصادر التاريخية الموثوقة بها في التاريخ الإسلامي.
- وآخر –أقل حضورا–إلا أنه أبعد أثراً في النص بوصفه جنساً روائياً تنفتح عوالمه على الغرائبية ليتحول الوهم إلى حقيقة، والحقيقة إلى وهم، وتتداخل الأزمنة، وتضيع ملامح الأمكنة.

في هذا المقام من البحث نركز على توصيف هذه الرواية بـ(التاريخية) من عدمه، وقبل الخوض في ذلك لابد من الاشارة إلى أن أصحاب التاريخانية الجديدة يؤمنون بأن "النص الأدبي جزء من سياق تاريخي يتفاعل مع مكونات الثقافة الأخرى من مؤسسات ومعتقدات وتوازنات قوى وما إلى ذلك"( الرويلي، 81،2007) ، فتوظيف التاريخ في النص الادبي يتجاوز خصوصية الغاية التاريخية إلى غاية أكثر سمو وهي نشدان الأصلاح المجتمعي من خلال تصحيح المسارات الخاطئة، ولو عدنا التوصيف الرواية بالتاريخية من عدمه نجد أن

بعض الباحثين يذهبون إلى أن استحضار الوثائق التاريخية واعتمادها في النص لا يعني استحضاراً" للتاريخ في سياق التدوين، ولكن باعتباره أفقا رؤيوياً يمنح الذات سياقاً متخيلاً"(بوعزة، 2014، 183) ، ولاسيما أن الرواية العربية الجديدة أصبحت ورشاً للتجريب ولم تعد ذلك الخطاب الصافي(الحجري، 2013، 15)، فالكاتب ابراهيم عيسى لم يكن ناقلاً للتاريخ فقط، بل كان الحدث التاريخي عنده مفعماً برؤية الكاتب وفكره ووعيه، فبدت الكتابة وكأنها محاولة لإعادة انتاج معنى تاريخي جديد ينبثق من حدث تاريخي واقعي، وهو ما عبرت عنه التاريخانية الجديدة " بعملية نصنصة التاريخ"(بوعزة، 184،2014) ومن هذا المنطلق فأن استلهام التاريخ في هذه الرواية لا يجعلها تنسجم مع توصيف (الرواية التاريخية) وفي الوقت نفسه لا يتماشى مع ثقافة إبراهيم عيسى الروائية بوصفه كاتباً للرواية المتخيلة ، فالروائي التاريخي هو مؤرخ يتمتع بموهبة خيالية في ميدان القصة(درويش، 2012، 374) على وفق ما جاء في بواكير ظهور الرواية العربية الحديثة عند جرجي زيدان مثلا ؛ ولذا نستبعد أن تكون رواية (دم الحسين) رواية تاريخية، وأن يكون مؤلفها مثّل الروائي التاريخي فيها.

**2- فاعلية التاريخانية الجديدة في الرواية**

ليس بالأمر الجديد القول إن الرواية تتميز "بوصفها جنساً أدبياً بقدرتها على الانفتاح على الثقافات الأخرى وإحتواء الأفكار المختلفة "(الجبوري، 2022، 357) فالرواية تعتمد التاريخ في بناء ثيمتها كما تعتمد غيره من الأفكار، وهو ما لا يتعارض مع ماهية كينونتها بوصفها سرداً حديثاً، لتستمد منه مادتها ومضمونها الروائي، بل على العكس من ذلك نرى أن توظيف التاريخ في الرواية أحياناً يكون أبعد تأثيراً وأقوى حجةً على المتلقي، ولاسيما إذا كان تسليط الضوء يستهدف مبدأ سياسياً أو دينياً أو أخلاقياً من خلال الدفع بتقانة الاغتراب(درويش، 2012، 375) ، لتمارس دورها الاغوائي على المتلقي، وقد كان للرومانسيين السبق في تضمين السرد الروائي مادة تاريخية.(العربي، 1989، 49).

أما الرواية العربية فقد عرفت الطريق إلى التاريخ منذ جرجي زيدان ليعقبه كُتاب كُثر كانت الأحداث التاريخية مادة أساسية في نتاجاتهم الروائية. وما يسوغ للروائي توظيف الحدث التاريخي هو غنى التاريخ العربي ولاسيما الإسلامي بموضوعات كثيرة أسهمت بصياغة الوجود الفكري العربي الحديث؛ لامتداد تبعاته إلى يومنا هذا؛ ولأجل الحفاظ على خصوصية الجنس الأدبي، وظف كتاب الرواية أدوات هذا الجنس من تصوير فني باعتماد الخيال، وتقديم الحدث التاريخي بتقنيات الكتابة السردية الحديثة من خلال إلغاء تراتبية الأحداث

والأنساق، وتشكيل لغة شعرية، تتضمن الايحاء والتكثيف. مما أوجد بوناً شاسعاً بين ما يكتبه الروائي وما كتبه المؤرخ الذي يعنى بالحديث عما حدث في عصور سالفة( دراج، 2004، 115) فجُلّ اهتمامه ينصب على تحري حقيقة الخبر وايصاله، في حين يظل الروائي ينشد المتلقي والتأثير فيه فضلاً عن الجمال والفن.

تباينت مواقف الأدباء من التاريخ: فمنهم من أعتمده مادة أساسية في مضمونه الروائي، كونه نصاً جاهزاً يمكن أن يتخلله " حبكة عاطفية غرامية"(خليل، 2010، 285) ، والآخر وظف التأريخ بوصفه أداة لقراءة الحاضر اعتماداً على المعطيات التي يوفرها هذا النص دون سواه، وقد يُسجلّ الحدث التاريخي حضوراً شرفياً في النص الادبي لأسباب يستدعيها النص نفسه.

**3- النص التاريخي وانتاج المعنى**

تحكي رواية (دم الحسين) مذبحة-بحسب تعبير الروائي -الامام الحسين في واقعة الطف الشهيرة في كربلاء، وهي الحادثة الأكثر حضوراً في الذاكرة الاسلامية الجمعية والفردية على حدٍ سواء، ويكشف نص الرواية عن توظيف مغاير ومختلف انماز به ابراهيم عيسى عن كثير من الكتاب الذين سبقوه ممن وظف التاريخ في بناء مضمونه الروائي، فهو أولاً يدلنا على المصادر التي اعتمدها في روايته، وكأنه يرى ذلك " ضرورياً حتى يسد الباب أمام ميليشيات كهنة المتعلمين الذين يرفضون الاعتراف بجور الدم التي شهدتها فترات الخلافة الاسلامية"(رضوان، 2017، صحيفة الشروق) ، ومن جانب آخر هو يتيح " للقارئ الذي لم يقرأ كتب التراث العربي الاسلامي الفرصة ليقرأ التاريخ"(رضوان، 2017، صحيفة الشروق) ، أو ليُعيد قراءة التاريخ من بوابة تبادل الأدوار بين المركز والهامش الذي تقول به الدراسات الثقافية اعتمادا على التأويل المبرهن.

إن توظيف الحادثة التاريخية في إنتاج نص روائي ولاسيما مثل رواية (دم الحسين) يتطلب مبدعاً واعياً لأمرين: الأول هو على الروائي أن يأتي بما ينماز عن الحادثة التاريخية نفسها وإلا أصبح الأمر يدخل في باب التكرار، والأمر الآخر هو تمكن الروائي من آليات إنتاج النص الروائي من تقانات بنائية وما شابه ذلك، وإلا ورب سائل يسأل ما أهمية توظيف حادثة كربلاء في نص روائي؟ وما القيمة التي تضفيها هذه الحادثة على النصوص السردية؟ ولاسيما أن هذه الحادثة هي محل اشكالٍ كبيرٍ بين المسلمين ترتبت عليه أمور عقائدية وانتماءات طائفية شقت وحدة المسلمين، فضلا عن كثرة تناولتها من قبل المؤرخين، فمن يريد الاطلاع على تفاصيلها بإمكانه العودة إلى تلك المصادر، فهل أراد الكاتب استحضار الماضي ليكون مرآة

تعكس انهزامات الواقع المأزوم أم أنه أراد أيقول أن تلك الحادثة كانت سبباً في انوجاد الواقع، أم أنه أراد المقابلة بين واقعين بل زمنيين ماض وحاضر مثلما فعل الروائيون الأوائل؟، ومن خلال المعطيات التي عرضتها الرواية نرجح أن تكون الفرضية الأولى هي الأقرب إلى غاية إبراهيم عيسى فقد استطاع أن يقود الحدث الروائي نحو الوجهة التي أراد أن يتجه إليها ولاسيما أنه تمكن من عملية الإنتاج تقنياً من خلال زج هذه الحادثة في أتون الرواية المتخيلة من خلال الحوار الذي تضمنه هذا النص ومساءلة الحدث التاريخي "بأسئلة مغايرة تتماشى مع متطلبات العصر ورغبات الإنسان الحالي". (الحجري، 2014، 14).

إن اختيار الكاتب لهذه المدة من عمر التاريخ والممتدة كما يشير في المقدمة " بين عامي 60 – 67 هجرياً"(عيسى، 2014، 11) لكونها تمثل انعطافة خطيرة في كينونة الدين الإسلامي ومستقبله بل هي لحظة مفصلية في التاريخ الدولة الإسلامية، وهي مرحلة حرجة أطاحت شكلاً برمز ديني كبير يمثل الخط الرسالي المحمدي الحق، إلا أنها ابقته روحاً ورمزاً ثورياً يتجدد ويحضر في كل زمان ومكان في هذه الأرض، فالقصد من الغوص في تفاصيلها هو فك اللبس الحاصل والفهم الخاطئ الذي أسس المؤرخون له ودلسوا فيه بأمر الخلافة، فالكاتب يعي أن خلط الاوراق واشتباك خيوط الأحداث، وتغييب الحقائق، أمر جهدت السلطات إلى بثه في كتب التاريخ، وفي الوقت ذاته وارضاء للسلطة سطر المؤرخون مغالطات أضلوا الناس بها، فيزيد بن معاوية قتل الحسين باسم الدين، والمختار أقتص من قتلة الحسين باسم الدين والمتشددون يرتكبون جرائمهم باسم الدين، وكذلك يفعل طغاة السلطة. فالتاريخ لم يعد نصاً حصيناً لا يجوز الاقتراب منه، أنما هو قابل للمساءلة والرفض، فلم تعد الصلة بالتاريخ " صلة إحياء وتمجيد وإنما هي صلة نقد وتحليل وتجاوز. هكذا ندرك كيف أن دور المبدع لا يكمن في المحافظة على النظام الثقافي الموروث وإنما يكمن في تفجيره وتطويره".( ادونيس، 2005، 187).

لم يكن كاتب رواية (دم الحسين) أسيراً للمرجعيات التاريخية بل نجده يحاكي الموروث لتفسيره وتحليله ومناقشته، وكأنه يعمل على أعادة إنتاج الحدث التاريخي بفك ما إلتبس به، ويعيد صناعته إلى واقع حاصل يراه ويتلمس جزيئاته وهو يوحد رؤى الكاتب مع رؤى اصحاب التاريخانية الجديدة الذين ذهبوا إلى وجوب أن لا يتوقف هذا النقد"عند الكشف عن أوجه الخلل وسوء الفهم، وإنما يتجاوز ذلك إلى تصحيح ما ينقده بالممارسة العملية أي بما يشبه العمل الثوري"(الرويلي، 2007، 82)، وهو ما فعله الكاتب إبراهيم عيسى

في هذا النص المتفرد، فهو يستحضر الماضي في معالجة الحاضر تماشياً مع فعالية حبكة النص الروائي التي ظلت متقدة حتى نهاية الرواية.

جاء بناء الرواية في أطار سردي يقوم على نسق تاريخي متحصل من المصادر التاريخية وآخر متخيل متولد من آليات انتاج النص الروائي، فالرواية تنفتح على زمنيين: ماضي وحاضر، بيد أنهما يتداخلان، فيحضر التاريخ في الحاضر، كما ترد صور الحاضر في النسق التاريخي، وتبدأ الرواية بمقدمة نراها جزءاً من الرواية بنسقها المتخيل، تتجسد في مشهد لمذبحة كربلاء حيث الدم والنار والسيوف تمثل شاخصة أمام الذات الساردة وفي حجرة مكتبه. وكأن الكاتب يعمل على تهيئة المتلقي لولوج الحدث التاريخي بتفاصيله المؤلمة، لاسيما وإن السرد كان يروى بطريقة المشهد السينمائية وهو أسلوب مائز جداً وحداثي في توصيفه، إذ جعل المتلقي يرى الأحداث وكأنها ماثلة أمامه بشاشة عرض سينمائية، وإن اعتماد الكاتب على مصادر تاريخية لم يمنعه من استكناه بواطنها والتفتيش في خباياها للوصول إلى جوهر الأمور والأسباب، وفك شيفرات الاحداث، بقصد إماطة اللثام عن وجه الحقيقة، وكان ذلك في مختلف مفاصل الرواية ومنها مناقشة الكاتب أسباب خروج الامام الحسين إلى كربلاء، ففي الوقت الذي أكتفى الكثيرون بالسكوت إزاء طغيان سلطة يزيد وبعضهم أتخذ الكلام سلاحاً لمواجهة امتداد هذه السلطة "خرج الحسين عن كل حدود البلاغة والانشاء ومقالات وصحائف معارضة نارية ...ويعط شهادة للجميع وعلى الجميع"(عيسى، 2014، أ) ويدرك المتلقي الفاعل تلميح الكاتب إلى أساليب المعارضة الحديثة، وانتقاده لها فهي عادة لا يتبعها اي أجراء حقيقي، فالحسين أعطى بخروجه القاتل "المثل التاريخي، والقدوة الخالدة، والشهادة حتى آخر قطرة دم" (عيسى، 2014، 50) وهو لم يسأل نفسه " ماذا أفعل والقوم كلهم ظلم، والعصر كله ظلام، والرفاق أنفضّوا، والانصار رحلوا؟ "(عيسى، 2014، 11) ومنحنا شهادة تقوض أركان الطغاة وعروشهم، شهادة " يوصهم بها يزيد بنو امية وزمن عبيد الله بن زياد وشمر ابن ذي الجوشن، وعمر بن سعد بن ابي وقاص ...أنهم قتلوا الحسين وتخلصوا من العدل والعدالة".(عيسى، 50،2014)

يناقش الكاتب قضية خروج الإمام الحسين من وجوه مختلفة ويخوض في غمار الموضوع للوصول إلى جوهره، ليرُد على من أساء فهم خروج الحسين أو تقصد الاساءة، ويشيّد مجموعة من الاحتمالات قد ترد في ذهن من التبس الأمر عليه أو صعب عليه الفهم، بأن الحسين لم يكن متسرعاً ولا مغامراً ولا منتحراً، ولم يكن يبحث عن " نصر عسكري" (عيسى، 2014، 49) ولا "عن شهادة دخول إلى الجنة"(عيسى،

2014، 49) ، ولا "عن خلافه تملأ الارض والسماء وتهز عروشاً" (عيسى، 2014، 41) ، ولم يكن يبحث عن " حل سياسي توفيقي تنتهي به المفاوضات إلى أقصى المكاسب النابعة من أقل الخسائر"(عيسى، 2014، 41) ، وفي ظل لا توازن معركة كربلاء، كان يمكن للحسين أن يحدث تغييراً ويحفظ حياته وحياة من معه بأن يضع يده بيد ابن زياد ويرحل معه إلى دمشق حيث يزيد الذي " يحتضنه...ويزيد من كرمه وسخائه" (عيسى، 2014، 41) ، كان يمكن لذلك أن يحدث لو أن الحسين منح أعداءه كلمة واحدة فقط " نعم" يقولها ليزيد، إلا أنه رفض ولم يكن يسمح لنفسه الثائرة أن ترضى بمبايعة يزيد "وما به من نقص وعلة، وما يعرشه من اغتصاب الحقوق وانتزاع الولاء وشراء الذمم والضمائر وظلم العباد والجور على الدنيا والدين معاً" ( عيسى، 2014، 47-48 ) .

فالحسين في هذه المعركة لم يكن الحسين فقط بل تمثلت بشخصية الكريم صفات جده محمد (عليه الصلاة والسلام) وشجاعة أبيه علي (عليه السلام) وخلق أمه فاطمة بنت محمد، وتقية أخيه الحسن، بل كان رمزاً لـ "العدل ...وطليعة الاخرة، وحكمة الجنة "( عيسى، 2014، 48) ، فلم تكن معركة شخوص بقدر ما كانت معركة مبادئ.

يكتسب النص الروائي هنا قيمته من كونه يعرض قيماً للنقاش ففي كل مرة تتنامى صور الحجاج والمغايرة، لفك الاستيهامات الواردة في المصادر والمراجع التاريخية، فالكاتب ينوي التأسيس لقراءة صحيحة للنصوص تضيء مختلف أبعاد القضية وجوانبها، وهذه المرة يتساءل الكاتب لماذا يصّر يزيد ابن معاوية على أخذ بيعة الحسين أفلم يكفيه " الملايين (9, 99%) من اصوات امته من أقصاها إلى أقصاها"( عيسى، 2014، 47 ) ، ولعل السؤال الأهم الذي يرد في ذهن المتلقي، لماذا يلح يزيد على انتزاع البيعة من الحسين، وما قيمة هذه البيعة؟ ويسقط الكاتب واقع السلطة اليوم على سلطة الأمس فيلمح إلى حاضر الحكومات العربية التي اعتادت على نزع نسبة انتخاباتها المزورة برقم لا يقل عما ذكره الكاتب، فكأن ما يحدث اليوم هو امتداد لما حدث بالأمس. فبيعة الحسين (عليه السلام) "تعني منح شرعية البقاء وتعني حصول سرير العرش على صك الشرعية"( عيسى، 2014، 47). وأمام سلطة يزيد الدنيوية وجبروته يرفض الحسين المبايعة، وهو يعلم أنهم سيقتلونه، حتى لو ظل في المدينة "لو لم أعجل لأُخذت!" ( عيسى، 48،2014) فيقينية الحسين بموته دفعته إلى أن يكون لهذا الموت معنى يحمله، فكان خياره الشهادة، وهو يعي تماماً ثمن هذه الشهادة على نفسه وعلى أهل بيته.

إن محاجة الكاتب للمصادر التاريخية ورفضه لما جاء في مدونتها بوصفها وثيقة السلطة، أسقط عنها هيبة التقديس، ومع ما عرف به يزيد من مجون وفسوق وطغيان التي تجسدت في واقعة كربلاء غير أن بعض المصادر تذكر آراءً مفادها اظهار يزيد بموقف البريء من أحداث كربلاء بل تؤكد على صلة العمومة التي تجمعه بالحسين، ويحتج أصحاب هذا الرأي بقول يزيد وهو يخاطب رأس الحسين الشريف المقطوع أمامه: " اما والله يا حسين، لو أنا صاحبك ما قتلتك"( عيسى، 2014، 86) ، فتظهر المصادر يزيداً وكأنه غير راضٍ على مقتل ابن عمه الحسين، وإن المسؤول الوحيد على قتله هو عبيد الله بن زياد . ويجد الكاتب في مقولة يزيد محاولة لإخفاء الغل والنقمة والتشفي، وإن كان يزيد نفسه سلوكياً أو قولياً لم يستطع اخفاء ذلك بعد مواجهة علي بن الحسين الأسير عنده قائلاً له: " يا علي أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما رأيت

أجابه علي بن الحسين:

- ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نراها

فقال يزيد:

- وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير"( عيسى، 2014، 87) .

يُظهر الحوار رضى يزيد لما حلَّ بآل بيت محمد، وعلى رأسهم الحسين إلى جانب أنه أغدق على عبيد الله بالهدايا والجوائز تكريماً لما قام به بحق الحسين وآل بيته، فمنحه ولاية البصرة والكوفة، ولو كان يزيد يملك وعياً يملكه أنصاف الحكام والأمراء في وقتنا الحالي لأمر بعزل عبيد الله بعد أن صار ورقة محروقة ليُظهر للناس أنه غير راضٍ عن اسلوب معالجة الموقف، لكي يُهدئ من روع أنصار الحسين وشيعته. ( عيسى، 2014، 88) .

يعمد الكاتب في نسق فني وموضوعي إلى ربط صور مختلفة لدولة المسلمين التي يقودها يزيد، تظهر دلالاتها هشاشة سياسة الدولة الأموية، فهو بعد قتل الحسين، شن هجوما آخر على مدينة الرسول (عليه السلام) واستباح حرمة أهلها واغتصاب نسائها وتقول الاحصاءات " أن عدد من قُتل في الأيام الدامية الثلاثة كان سبعمائة قتيل"( عيسى، 2014،90) . فكان الهم الأوحد لخليفة المسلمين يزيد هو الحفاظ على عرشه ولو بالإبادة الجماعية لكل من يعترض على حكمه، فأستمر وحشاً هائجاً وسكيراً عربيداً يذبح

ويقتل ويسبي، لم تدم مدة حكمه أكثر من ثلاث سنوات بعد أن قتله قرداً كان يداعبه "هذا الذي قتل الحسين بن علي! قتله قرد".( عيسى، 2014، 93) .

تأطر هذه القراءة للتاريخ ضمن محاولة فضح المغيب من الحقائق التي غيبها وعاظ السلاطين وهم من أنصاف الفقهاء الذين ساندوا يزيد في سلطانه بتفعيل "فتوى لكل ما يفعل، ودفاعاً وتبريرا لما يقول، حتى بلغ ولائهم له حد دس الروايات المؤيدة له والمدافعة عنه في أوراق التاريخ لعلها تصلح من صورته الدميمة "(عيسى، 2014، 92) ، ولطالما جهد الامويون " في إطار حملتهم الايديولوجية ...إلى توظيف الحديث النبوي ...وقد روى لهم أنصارهم أحاديث ظاهرة الوضع تنص على إعفائهم من العقاب يوم القيامة وترفعهم إلى مقام الانبياء"(زهرة، 2007، 323) ، ومن جانب آخر يسوغ هؤلاء لأنفسهم وإرضاء للسلطة تشويه البطل والتشكيك به بغية أضعاف أيمان الناس به وتشويش رؤيتهم تجاهه، فزعموا أن الحسين "عرض على جيش عمر بن سعد في اثناء اللقاءات الليلية بين المعسكرين على الحدود أحد ثلاثة اختيارات يرى فيها عمر أمرا لينفذه الحسين من دون قتال او إراقة دماء" ( عيسى، 2014، 54) ، وهي: ( عيسى، 2014، 54)

1- طلب الحسين الرجعة من حيث قدِم.
2- أن يضع يده بيد يزيد بن معاوية وجهاً لوجه.
3- أن يتركوا الحسين يذهب إلى أي مكان يختارونه هم.

تذكر أغلب المصادر التاريخية أن هذه الاختيارات رفضها عبيد الله بن زياد، وأصر على مبايعة الحسين ليزيد بن معاوية، ويعد الكاتب هذا الرأي على أنه محض افتراء على الحسين ومحاولة لإرباك صورة البطل التي تمثلت لدى الناس عنه، ويناقش بالحجة والمنطق أسباب رفضه ومنها ما ورد عن عقبة بن سمعان وهو من أصحاب الحسين وممن لازمه خلال خروجه إلى كربلاء: "ولم أفارقه حتى قتل ...إلا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلأذهب في هذه الارض العريضة حتى أنظر ما يصير من أمر الناس"( عيسى، 55،2014) .

ويرى الكاتب أن الحسين لو أراد صلحاً مع يزيد لأرسل له هذا العرض يحمله رسولٌ "على فرس قبل أن يحتدم الصراع ويظهر القتال، خصوصاً وقد جاءته أنباء مقتل مسلم بن عقيل، وانقضاض المبايعين" ( عيسى،

2014، 55) ، فضلا عن أمر آخر ينبه له الكاتب وهو أن هذا العرض "لا يدل على موافقة الحسين على بيعة يزيد"( عيسى، 2014، 55) ، يتركز نقاش الكاتب هنا على نقطة هامة وهي هل قَبِل الحسين لقاء يزيد أو بيعته؟ دون الخيارين الآخرين لكون هذا الأمر محل عناية المشتغلين من مؤرخين وأصحاب العقائد والمذاهب فضلا عن الجمهور، فيدحضه بقول للأمام الحسين في أرض المعركة تنقله جميع المصادر وهو جواب لسؤال من معسكر جيش عمر بن سعد"((وما يمنعك أن تنزل على حكم بني عمك)) فأجاب الحسين قائلاً: ((معاذ الله)) ثم تلا قوله تعالى: ((إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم حساب))" ( عيسى، 2014، 55) ، وهذا القول الذي حكمت بصحته جميع المصادر يكفي لدحض ما ورد في الرواية من خيارات بل ويشكك في أمر الخيارين الآخرين اعتماد على قول ابن سمعان المتقدم، وفي نهاية الأمر يصبح " تجاوز هذه الرواية ...طبيعياً ومنطقياً "( عيسى، 2014، 56 ) ، فلم تكن هذه الخيارات ولاسيما خيار لقاء يزيد أو بيعته؛- لكونه عقدة الحدث التاريخي والعقائدي -إلا من صنع رواة الدولة الاموية ومؤرخيها بقصد التشكيك بالمشروع الإصلاحي الذي خرج من أجله الإمام الحسين بن علي(عليهما السلام).

**4-وصف الأبعاد الداخلية للشخصيات**

تتفوق الكتابة الروائية على النص التاريخي، فتندرج الرواية ضمن مسار الكتابة الابداعية التي يضمنها الكتاب أنماطاً مختلفة ومتجددة في بنائها، سعياً لخلق انساق دلالية وجمالية للنص. وتطمح رواية (دم الحسين) الى تقديم نص متميز، فإلى جانب استحضار التاريخ بوصفه مكوناً رئيساً في هذا النص بعيداً عن صنمية الحدث التاريخي من خلال الارتهان إلى التفكير في تقبل الوقائع التاريخية ومناقشتها، تعتمد الرواية أيضاً على التقنيات الفنية الحديثة التي تؤهلها لتكون بمصاف النصوص السردية المهمة، انطلاقاً من تداخل الأزمنة، وتنويع الاسلوب السردي، واستبطان عوالم الشخصيات الداخلية في التركيز على الصراع النفسي والايديولوجي وهو ما سيسعى البحث للخوض فيه.

أ- الصراع النفسي

افتتح الدكتور علي الوردي كتابه (وعاظ السلاطين) بموضوع (الوعظ والصراع النفسي) وكان ذلك في فصله الأول(الوردي، د.ت، 15)، وقد ساق أول شاهد على هذه الصراع هو واقع حال عمر بن سعد في واقعة الطف" فانتابته آنذاك الوساوس وبلغ منه التردد مبلغاً عظيماً، أيرفض قتال الحسين وفي ذلك خسران

للإمارة، أم يذهب لقتاله وفي ذلك ما فيه من وخز للضمير وسوء المنقلب...أن هذه الرواية تروي...قصة ذات مغزى نفسي بعيد"(الوردي، د.ت ، 15-16) ، وهذا الحال يصدق على كثير من رجالات العراق الذين عاصروا تلك الواقعة والتي تمثلها قول الفرزدق في جوابه للحسين عن سؤال عن أحوال اهله: قلوبهم معك وسيوفهم عليك، إذ يصف الوردي هذا الأمر بالنزاع النفسي المرير.(الوردي، د.ت، 16)، فالصراع النفسي في هذه الحقبة التي تصورها رواية(دم الحسين) بلغ من الناس مبلغاً كبيراً؛ لأنه صراع بين الشر(البعد الدنيوي) الذي يقف خلفه المال بكل سطوته والسلطان بكل جبروته والجاه بكل هيبته، والخير(البعد الأخروي) الذي يقف أمامه الموت بكل حتميته وإن كان مع سبط الرسول الكريم.

يقسم فيليب هامون الشخصيات في النص الابداعي إلى ثلاثة أنواع: المرجعية والاشارية والاستذكارية، ويحدد دور الشخصية المرجعية بأنها " تحيل على معنى ممتلئ وثابت حددته ثقافة ما، كما تحيل على أدوار وبرامج واستعمالات ثابتة، فقراءتها مرتبطة بدرجة استيعاب لهذه الثقافة "(هامون،1990، 25) ، فالشخصية التاريخية محددة بشكل قبلي، وإن دورها في النص سيكون معروفاً، فلا تتحرك خارج السياق التاريخي الذي عُرفت به، فهي ليست بياضا(هامةن، 1990، 9) دلالياً؛ لكونها معروفة للقارئ. إلا أن اشتغال الكاتب على استقراء دواخل الشخصيات واستيطان اعماقها للتعرف على العواطف والانفعالات التي تجتاحها، سمح باكتشاف جديد للشخصية التاريخية، فـ " تدفق انفعالات تختلج في نفسية الشخصية ...بمعنى آخر...سير أغوار الداخلية للشخصية وهي تنفعل تحت تأثير حدث ما". (محفوظ، 2007، 58) فاستبطان المكنونات الداخلية للشخصية التاريخية، تجعلها تبدو وكأنها بياض دلالي، تتكشف اعماقها الخفية تدريجياً للمتلقي.

يكشف السرد الروائي عن دواخل ونوازع الكثير من الشخصيات التاريخية الواردة في النص ومنها شخصية عبيد الله بن زياد في اللحظات القليلة قبيل مواجهته الأخيرة مع إبراهيم بن مالك الاشتر قائد جيش العراق ورجل المختار الشجاع الذي لا يقف أمامه فارس مهما علا شأنه " جاء ابن الاشتر! ثقب الصوت رأسه، وعلم أن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الأمر لا يعني هزيمة جيش الشام أمام جيش المختار والعراق فقط... إنه يعني شيئاً واحداً فقط: أن انتصاره يعني بقاؤه حياً ونجاته من الانتقام، وأن هزيمته معناها تمزيق جسده إرباً تحت اقدام المختار؛ لهذا دخل المعركة وهو يدرك أنها معركته هو شخصياً، لا معركة الشام ولا معركة مروان، ولا الستين ألف جندي، إنها معركته وحده قاتل الحسين مع المنتقم! "( عيسى، 2014، 127).

الرؤية التي تقدم بها الاختلاجات هي التبئير في درجة الصفر أو اللاتبئير، وهو حال الرؤية في البعدين النفسي والايديولوجي، ولكل الشخصيات كون الرواية تقدم بأسلوب الراوي العليم. أسهم الكشف عن المكنونات الداخلية لشخصية ابن زياد في اظهار حقيقة قاتل الحسين على أنه شخصية مأزومة خائفة من عاقبتها، ولاسيما أن جيش المختار أستطاع أن يفتك بكل من شارك بقتل الحسين و" لم يَعد الاه ...وحده! مطلوباً دمه، ومهدده روحه، ومطارداً جسده"( عيسى، 2014، 126) ، يعي ابن زياد أن ابن الاشتر جاء يطلب رأسه هو بالذات ليرسله إلى المختار؛ لذلك بالغ في إحاطة نفسه بجيش كثيف جرار بلغ عدده الستين ألف مقابل سبعة آلاف هو جيش المختار يقودهم ابن الأشتر.

يكشف النص الروائي أيضاً عن صراع نفسي مرَّ به الحر الرياحي في أرض المعركة إذ كان يرتعد ويرتجف من الحيرة لا من الخوف؛ لأنه كان معروفاً بالشجاعة وشدة البأس، (وعاظ السلاطين، د.ت، 16) فهو يقف في لحظة فاصلة من عمره وعمر التاريخ " وبين عمرين وحياتين وقدرين ومستقبلين، يتردد، عن يمينه جيش الحسين ابن النبي صلى الله عليه وسلم يحاصره الجنود والحطب والقصب والخشب والنار...تتصلب عيونه في هذه البقعة من (كربلاء) على ابن نبيّه "( عيسى، 2014، 15) فيصارع الحر ذاته ويسأل نفسه " ما الذي اوقعني؟ من الذي قادني إلى تهلكة نفسي، وبيع الدين والدنيا؟! "( عيسى، 2014، 15) لحظة حاسمة تتصارع فيها مبادئ الدين الحنيف والولاء للنبي الأعظم وبين أوامر قادته عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد القاضية باستباحة دم " ابن نبيه ذلك الذي يصلي عليه ويسلم، ويرجو عفوه وشفاعته، ويقاتل من أجل دينه، ويُعلي في بنائه"( عيسى، 2014، 15 ). إلى أن " حدّث الحر نفسه، وهو يلتفت إلى جيش عمر بن سعد، وحسم أمره، وأجبر شيطانه على التراجع"( عيسى، 2014، 15) وهو يسأل نفسه " ما الذي أوقعني هنا يا أبناء الافاعي؟ " ( عيسى، 2014، 15) ومما لا مراء فيه أن " النزوع إلى الجانب الانساني يصطدم بالمصالح الشخصية والفئوية وصولا إلى أكبر تجمع فئوي"(الجبوري، 2024، 307) ، إلا أن الحر قد انسلخ من هذه المصلحة ليلتحق بالحق، فيستقرأ حشود الجيش الذي هو أحد قادته " أربعة ألاف فارس يقودهم الطامح إلى الأمارة والآفاق والمنافق، والمريض بالسلطة، والذي باع دينه مقابل كيس دراهم، والذي أجبره الخوف وأضعفته النفس السيئة، فاندفع لمقاتلة ابن النبي لا كذب، ابن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت محمد"( عيسى، 2014، 16-17) ، هذه حقيقة الجيش الذي جُهز لمواجهة الحسين ما بين طامح بسلطة أو منافق أو أفّاق أو خائف وعلى رأسهم قائدهم الأعلى " زياد بن مرجانة،

امير يزيد بن معاوية على الكوفة بدمامته وحشيته، وسوء خُلقه وسوأة خلقته، يفترس عظم ابن النبي العظيم وينهش في لحم رسالته وحلم إمامته"( عيسى، 2014، 16).

يحاول الحر الرياحي أن يعيد انتاج مجتمعه وبيئته، وكأنه يفيق من سباته ليضع النقاط على حروفها ويسمي الأشياء بمسمياتها، فيعيد انتاج تصوراته عن رجال المعسكر الذي ينتمي إليه، فهم أبناء ضفادع، وجشعي المال والسلطة، وابن زياد لا يقل سوأ عنهم بخلقته وأخلاقه، فالحر قد وعى حقيقة معسكره وهو الآن نافر منهم ورافض لهم، فالأمر لم يعد ملتبساً عنده، وقد بانت دقائق الأمور ليعود الى نفسه " اني والله أخير نفسي بين الجنة والنار" ( عيسى، 2014، 17) فالصراع الذي يدور في ذاته ومع النفس الأمارة بالسوء قد بات في حكم المعدوم " والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعتُ وحُرقت"( عيسى، 2014،17). وإمعاناً في كشف لا أخلاقية معسكر ابن زياد، يرصد النص لحظة أمر شمر بن ذي الجوشن لخولي بن يزيد "اهبط فاحتز رأسه"( عيسى، 2014،116) ليحمل الرأس الشريف هدية إلى يزيد في الشام "تردده وخوفه، تقدمه ورجوعه، اقتحامه وانسحابه، رفع السيف، نزوله من الهواء، ارتجاجه، هبوط حتى العنق، اصطدامه بالرقبة، انبثاق الدم، فصل العنق، ثقل الرأس، ظلام القلب، ارتعاش البدن "( عيسى، 2014،116) ، مما لاشك فيه أن الوقوف أمام الجسد الشريف بوصفه مقدساً أو عدواً امراً يحمل من الجلال والرهبة في نفس من يقف أمامه، فكيف فيمن يبتغي حزَّ رأسه وهو يعلم جيدا ما لهذا الرأس من كرامة عند الله ومحبة عند رسوله؛ ولذا لا نستغرب من أن يقف خولي هذا الموقف المرعب الذي يتراوح بين الخوف والتردد التي يكشفها انفعاله اللامبأر؛ لشعوره بعظمة الحسين وهيبته وإن كان مقتولاً، فالنص يُظهر خواء خولي وتفاهته و هشاشته وضآلته أمام القيم الاخلاقية والمبادئ السامية التي يحملها هذا الرأس.

ب-الصراع الايديولوجي

إلى جانب اهتمام النص بإبراز البعد السيكولوجي للشخصية التاريخية، عني أيضا باستظهار البعد الايديولوجي لها بالكشف عن الملامح الفكرية والذهنية، فضلا عن استحضار مجموع القيم والثقافات التي تتبناها وتعمل بها.

ويمكننا عدّ شخصية المختار الثقفي من أهم الشخصيات التي عنى بها النص ومنحها مساحة كبيرة في الرواية؛ نظراً لأهمية هذه الشخصية المهمة في إحداث صراعات حاسمة أهمها الطلب بثأر الحسين والاقتصاص من قتلته، فقد عاش المختار حياة سياسية متقلبة انتهت بنجاحه بتأسيس دولة سرعان ما انهارت بمقتله

على يد الزبيريين، فبعد إعلان انقلابه على حكم ابن الزبير تفرغ المختار للاقتصاص من قتلة الإمام الحسين، والانتقام منهم، ويحدد النص خطة المختار في محاولته توسيع نفوذه بما يأتي: ( عيسى، 2014، 98)

1- الاستيلاء على حكومة الكوفة.

2- امتداد نفوذه إلى البصرة وبعض البلدان.

3- التفرغ لقتلة الحسين.

انمازت شخصية المختار الثقفي بميزات مختلفة جعلت منه شخصية إشكالية ليس على مستوى الحدث الروائي في هذا النص بل في الحياة السياسية خلال حكم الدولة الأموية، وكذلك في سياقات الحدث التاريخي نفسه، وقد عمد الروائي إلى توظيف بعض هذه السمات في نصه هذا والتي ستكون مدار نقاشنا ومنها أنه شخصية تنبؤية، فالمصادر تذكر" أن جبرائيل عليه السلام ...يأتي المختار بالوحي من عند الله، فيخبره ولا يراه"( هالم، 2003، 36).

إلا ان الكاتب يرفض هذا الرأي، ويوضح "أن الرجل كان صاحب عزيمة جبارة وقدرة خارقة على المثابرة والسعي لما يريده" ( عيسى، 2014، 109). وقد قاده هذا الاعتداد بالنفس والشجاعة التي يملكها إلى تزوير رسالة أدعى أنها من ابن الحنفية يمنحه فيها تكليفاً للأخذ بثأر الحسين، تمكن من خلالها أقناع ممن حوله بما جاء فيها، وإن ساورهم الشك.

حدد المختار ثلاثة طرق للاقتصاص من قتلة الحسين: ( عيسى، 2014، 109)

1- الحرق بالنار.

2- قطع الأطراف.

3- الرمي بالنبال والرماح حتى الموت.

اتبع المختار أساليب قاسية للانتقام من قتلة سبط النبي، توازي حجم الجرم الذي قاموا بفعله ، فكانت دائرة الانتقام " فخاً عنكبوتياً لكل الحشرات التي شاركت في المذبحة"( عيسى، 2014، 121) بهذه القوة وبهذا الاصرار تمكن المختار من تأسيس دعائم دولته التي لم تدم أكثر من ثلاث سنوات فكانت جملته الاخيرة " إنما انا رجل من العرب، رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة ...انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من الرجال العرب، فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم، إلا أني قد طلبتُ بثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، إذ نامت عنه العرب فقتلت من شرك في دمائهم "(

الطبري، 1987، 3/ 491). لم يكن المختار شخصاً عادياً " بما يملكه من دهاء سياسي، وقوة أرادة، وخطابة بليغة، وحسن إدراك وتدبير، وقدرة على جذب الجماهير والاستحواذ على مشاعرهم وادارة قادته ورجاله وأقناعهم"( عيسى، 130،2014). ويصّر الكاتب على أن المختار أتخذ دعوة الثأر كواجهة لإضفاء مصداقية شرعية لما يقوم به، إلا أنه في حقيقة الأمر كان "مدفوعاً بالبحث عن الملك والحكم"( عيسى، 2014، 131) ، بل "أن البحث عن الملك كان الأساس"( عيسى، 2014، 131) كما أن الدعوة هيأت له قاعدة جماهيرية واسعة من الشيعة، فضلاً عن أنها ضمنت له بقاءً وخلوداً بعد حين.

يأخذ الكاتب على المختار قسوته ومبالغته في الانتقام من قتلة سبط النبي، ويراه مرضاً نفسياً سادياً، ويدفعه ذلك إلى تبني رأي رفضه سابقاً "روت بعض المصادر التاريخية أن المختار أدعى النبوة ...لكن ضعف وهشاشة الاتهام بادعاء النبوة يجعلنا نتجاوز إلى الاتهام الحقيقي الثابت، وهو أنه زعم أنه تلقى وحياً". وهذا الرأي يناقض ما فنده الكاتب في موضع آخر من الرواية، بما ذكر حول المختار بأن الوحي يعلمه بغيبيات الأمر وأرجع ذلك إلى قوة شخصيته. ( عيسى، 2014، 81)

تشغل شخصية المختار اهتمام الكاتب، مما دعاه إلى منحها حيزاً كبيراً من النص، وتقديم قراءة لا نراها تنسجم مع الحقبة التي عاشها المختار، وسياقاتها المتداخلة، فرأي الكاتب حول ثورة المختار يتمثل في أنها لا تبتعد عن مناشدة لتحقيق مجدٍ ذات؛ لهذا فشل في تحقيق الثأر من قتلة الحسين، فالأساليب الانتقامية التي تجسدت في ثورة المختار من "تحريق وتقطيع أطراف وقتل جماعي، ورجم بالحجارة، وموت بطيء، وبحور دم لا تنتهي...كلها أفاعيل، حتى إن لجأ إليها القتلة من قبل، فما كان يرضاها الحسين العظيم، ولا الضمير الانساني". ( عيسى، 2014، 132) وفي السياق ذاته يقارن الكاتب بين ثورة المختار وثورة الحسين الذي لم يكن "نضاله طلباً لنفوذ أو سلطان"( عيسى، 2014، 134) في الوقت الذي أتخذ المختار ثورته الانتقامية، جسراً للوصول إلى " ذات المقعد الذي جلس عليه ابن زياد"، وينتهي الكاتب إلى أن المختار" قتل ...قتلة الحسين.. نعم لكنه لم يثأر له! "( عيسى، 2014، 135). مع تقديرنا للبعد الحجاجي الذي قدمه الكاتب بغية الكشف عن الجوانب الفكرية لشخصية المختار، والتي لا نراها شخصية براغماتية، نخرج بها بقراءة أحادية، لاسيما في ظل ظروف شائكة، كالتي عاشها المختار. إن مقارنة الكاتب بين ثورة المختار وثورة الحسين أمر فيه نظر لما بين القائدين من افتراق من حيث المكانة والغايات، فالحسين هو سليل النبوة سبط الرسول الأعظم، وابن علي بن ابي طالب فضلا عن الغاية التي خرج من أجلها الحسين وهو الإصلاح

في أمة جده، فشرعية خروج الامام الحسين تحصن نفسها بنفسها؛ لأنه مكلف بالخروج شرعاً على الحاكم الظالم، أما المختار فغايته تختلف تماماً؛ لأنه خرج لأخذ الثأر لدم الحسين، وهذه الغاية قابلة للرد وإن أخذت شرعيتها بطريق ملتوٍ من محمد بن الحنفية، فضلا عن طموحه الشخصي الذي لا يمكن انكاره بناءً على ما ذكره الطبري" إنما أنا رجل من العرب، رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة ...انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من الرجال العرب، فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم...إلا أني قد طلبتُ بثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، إذ نامت عنه العرب فقتلت من شرك في دمائهم "(الطبري، 1987، 491/3).

لهذا فأن القول بأن المختار كان باحثاً عن (الملك والعدل) نراه أمراً وارداً بالنسبة لشخصية سياسية مثله، ولاسيما إنه عُرف طموحاً ومثابراً وساعياً، كما أنه كان ينوي تشيد دولة علوية أساسها العدل والعدالة ولا يمكن لدولة أن تقوم بعيدا عن السياسة . أما ما يخص الاساليب التي أتبعها المختار في سياق انتقامه من قتلة الحسين، فمع ايماننا بمغالاته فيها، وأن الله تعالى نهى عنها، إلا إننا نرى أن موالاته ومحبته لأهل البيت عليهم السلام وعظم مصابهم، فقد قُتل كل رجالهم قتلاً لا يمت إلى الدين الإسلامي ولا إلى العادات والتقاليد العربية في الحرب بصلة، فشناعة هذه الأفعال التي مورست بحقهم كانت سبباً وراء قسوة المختار ومن ورائه شيعة أهل البيت النبوي، إلى جانب ذلك نجد أن ثورة المختار الانتقامية كانت قريبة زمنياً من مذبحة الامام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وما زال الدم المراق لم يجف بعد، فكان الطابع الانفعالي السمة الأكثر هيمنة عليها، وكأنه يريد أن يقتص من خصمه بما يوازي تلك المجزرة الوحشية التي مازال صداها الى اليوم مؤثراً ليس على محبي أهل البيت بل على كل من يطلع على تلك الفاجعة هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أن المختار بهذا الاسلوب القاسي مع أعداء الحسين وقتلته أرسل رسالة غير مباشرة إلى الجماهير التي أستملك المختار روحها بالوعود بقيام دولة حق وعدالة، لاسيما وإنها كانت "مؤهلة جداً للانخراط في الممارسة والعمل"( العمودي، 2000، 24)، فأراد المختار استثارة عواطفهم، مما يمكنه من تسيير الجماهير وتحريضها ضد الخصوم، أو فيما يراه الكاتب بأن المختار" تحول إلى حاكم فردي، وملك منفرد، وأعمل نفس قواعد الحاكم الطاغية الديكتاتور"( عيسى، 2014، 134).

لكن الكاتب غفل عن أمر في غاية الأهمية ألا وهو أن المدة الزمنية القصيرة جداً التي أمتلك فيها المختار زمام أمور الحكم لا نجدها كافية لأن يمارس فيها ما ذكره الكاتب، فضلاً عن أن حكومته وطول مدة حكمه كانت منشغلة بالدفاع عن نفسها تارة وبمطاردة قتلة الامام الحسين تارة أخرى.

ويصرح الكاتب بأن المختار " لم يكن خالص النية في انتقامه"( عيسى، 2014، 134) ونراه أمر غير ملائم للخوض في مسألة النية فلا يمكن اعطاء حكماً جازماً؛ كونها أمراً يتعلق بالشخصية وذاتها، ومهما بالغنا في دراسة المختار نفسياً لن نكون قادرين على الجزم بنيته في انتقامه وثورته.

إن محاولة استظهار البعد الايديولوجي لشخصية غير عادية مثل المختار نجده امراً محفوفاً بالمخاطر والمنزلقات ولاسيما أن "المصادر كلها كانت ضد حركة المختار حتى المصادر الشيعية لم تذكر شيئاً يُذكر عنها"(زهرة، 2007، 219). فثورة المختار ولدت في سياقات تحيطها " الكراهية والبغضاء، فالأمويون من ناحية والزبيريون من ناحية وربما الخوارج أيضاً وكل هؤلاء يصفون حركة المختار بالشخصانية"( زهرة، 2007، 219) ، لهذا يبدو صعباً تكوين رأياً سليماً تجاه هذه الشخصية التي أحدثت ثورة لو كُتب لها النجاح لربما غيرت وجه التاريخ العربي؛ لما طرحته من قضايا ثورية كتحرير العبيد ونصرة المستضعفين ونصرة آل بيت النبي. (زهرة، 2007، 219).

**5-النسق المتخيل**

شكلت مذبحة الامام الحسين عليه السلام ثيمة أساسية في تحديد هيكلية البناء الروائي، فالسارد لتفاصيل هذا النسق مؤمن بالحسين وحالم به، ويقوده حلمه إلى تجوال غرائبي مع الحسين في صحراء الكوفة، المسرح الحقيقي للأحداث ليشهد مقتل الحسين ومن ثمَّ العودة إلى شوارع مدينة غير واضحة المعالم، فإحداث هذا التحول المفصلي بين الزمن التاريخي وزمنية السارد في لحظة هي خارج الزمن بين الحياة والموت يُخرج النص من طابعه التاريخي ويدفع به إلى ساحة الابداع الروائي المائز، كما زاد من حجم الاحساس بمأساوية الحدث في الزمنين بعد أن أفسح السارد مجالاً لنسق بنائي ثنائي، يعاد فيه حدوث الفعل أكثر من مرة مستعيناً بلغة سردية مشخصة لعمق هذه الاعادة بتصوير الفعل الآثم، فيعبر عن مشهد قتل الحسين في كلا المستويين: التاريخي والواقعي بالمفردات اللغوية ذاتها "ويرفع سيفه بقبضته إلى الهواء، وبالذراع إلى الفضاء. يتردد، يتوجس، يتريث ويتفكر ويقرر، فيمرر السيف إلى الجسد، إلى الرأس، فيقطعه وينزعه ويرفعه، ويحمله إلى شمر بن ذي الجوشن، فيأخذه، ويلكز فرسه، ويعدو إلى الصحراء"( عيسى، 2014، 143 ) ويعاد المشهد ذاته في

واقع السارد اليومي، وبالعبارات ذاتها" اقترب من جسد الحسين المسجى، يقترب، ويرفع السيف إلى الهواء، وبالذراع إلى الفضاء، يتردد، يتوجس، يتريث، يتفكر، ويقرر، فيمرر السيف إلى الجسد إلى الرأس، فيقطعه وينزعه ويرفعه ويحمله إلى سيارته، فيأخذه، ويأمر سائقه فيمضي".( عيسى، 2014، 151) يتضح من البرنامجين السرديين أعلاه أن أداة توصيل الفعل التي تُعد " الوعاء الذي يصب فيه الروائي أفكاره ويجسد رؤيته الخاصة ...من خلال استعمال مفردات وتراكيب واساليب متنوعة"(الزبيدي، 2013،10) هنا واحدة في كلا البرنامجين، والفعل واحد أيضاً وحتى الأساليب واحدة وكذلك الشخوص هم انفسهم الذين يقتلون الحسين اليوم سواء بما تركوه من إرث علمي تراثي أو من خلال ما تركوه من خلف سار على سلف طالح، إلا أن الاختلاف بين البرنامجين، هو أن الحسين في زمنه التاريخي قتل جسداً في حين أنه في زمننا المعاصر يُقتل مبادئاً وسلوكياً، فالمبادئ التي ضحى من اجلها الحسين بنفسه وعياله تنتهك وتحارب وتدلس وتوظف في غير موضعها. فالدلالة اللغوية في إعادة المشهد وبالتعبير اللغوي ذاته دلالة ايحاءٍ باستمرارية فعل قتل الحسين في كل عصر، بالسيف ذاته، والقاتل ذاته.. ففي كل زمن تفرض السلطة مركزيتها باسم الدين " بدأت صفوف الجنود المتراصة على الجانبين، تظهر لعيني التي لم تكن قد اعتادت الانتقال من الصحراء الأولى إلى الصحراء الآخرة"( عيسى، 2014، 146).

ولا يغيب عن ذهن المتلقي أن الحضور الغرائبي للحسين بهذا النسق المتخيل، انما هو حضور رمزي، أراد منه الكاتب قراءة الواقع الراهن للإنسان العربي في ظل طغيان السلطة، وخضوع الشعوب، والتأكيد على أن التاريخ لا ينفصل عن الواقع اليوم، فما حدث فيه تترتب عليه أحداث اليوم، فقتل الحسين أصبح نسق لقتل القيم السامية، والاخلاق الانسانية وهو أيضاً " ورقة أثبات مختومة بالدم على تلوث العصر"( عيسى، 2014،50) وتؤكد البنية الرمزية دوام تلوث العصور العربية، في ظل حكومات تدعي الدين منهجاً وشعاراً، لتطمين الجهلة وقيادتهم بيسر؛ لسوقهم في عمليات انتحارية ضد الآخر المختلف ديناً ومذهباً. وإذا كان الكاتب لم يصرح بطبيعة الانفجار الذي حدث في محطة المترو في إحدى المدن الفرنسية، إلا أنه يسهل على المتلقي قراءة ذلك؛ كونه عملية انتحارية تقوم بها جهات متشددة دينياً لحصد ارواح الناس. ولطالما كانت "الصناعة التي لا تبددها الأزمنة هي الذبح التي تعيق الرأس الذبيح مدخلاً إلى السلطة الخليفة القديم"(دراج، 2004، 115) ، ويكشف النص واقع الجماهير المأزومة بوعيها، تحت ظل حكومات مخادعة، فيلتحفون الخوف تعبيراً عن هويتهم المهزومة أمام يزيد جديد، فيتطلعون بعيون الرعب من شرفات أسطح دورهم لحسين

جديد يذبح " وحيداً في الشارع، مقتولاً ... غارقاً في دمه السابح على الاسفلت".( عيسى، 2014، 151) .

**الخاتمة**

توصلت الدراسة الى جملة من النتائج من أهمها:

- وعي الكاتب بأهمية الحادثة التاريخية في بناء النص الروائي، فضلا عن أهمية توظيف الحادثة التاريخية في معالجات سردية تنقد الواقع من خلال الاعتبار بما سبق.
- توافق النص الروائي بما قال به اصحاب التاريخانية الجديدة، وكأن الكاتب كان على وعي بآلات هذا التيار النقدي الحداثوي من حيث الافكار والرؤى والأهداف، فثقافة الكاتب النقدية جلية للعيان.
- حاولت الرواية أن تناقش الواقع الجماهيري العربي بكل سيئاته من خلال استحضار النموذج الأمثل في التاريخ العربي الإسلامي الذي تصدى لتسلط الحكام على رقاب الشعوب وهو الامام الحسين عليه السلام، بعد قراءة الحيف الذي وقع عليه تاريخياً، وحاولت أن تجمع بين المجتمعين سردياً، فوجدت أن الجماهير العربية هي ذاتها من حيث الوعي والسلوك.
- رواية (دم الحسين) رواية وظفت التاريخ وجعلته وسيلة لغاية أكثر نبلاً وليست رواية تاريخية؛ لكونها خرجت عن الرواية التاريخية، وحاولت تعديل مسارها نحو الحقيقة التي تغافل عنها المؤرخون سواء أكان ذلك بقصد أو بدونه.
- تمكن الروائي إبراهيم عيسى من قراءة النص التاريخي بوجه مغاير لما هو شائع لنص تاريخي فيه من الحراجة ما فيه لشخص ينتمي مذهبياً الى المذهب الآخر؛ ويعود ذلك لقوة أدواته القرائية على مستوى الابداع الأدبي، وكذلك على مستوى المحاججة العقلية.
- تُظهر الرواية أن الوثيقة التاريخية المتمثلة في مصادر التاريخ الإسلامي لا تتمتع بمصداقية كاملة، بل هي قابلة للقراءة والتأويل لتعارضها مع العقل أولاً ومع النقل ثانياً الذي هو يمثل وثيقة تاريخية لا تقل أهمية عن الوثيقة الأولى، وربما تكون الأقوى لصمودها على الرغم من تعارضها مع توجهات السلطة الكاتبه للتاريخ.

- شيوع الصراع النفسي في مجتمع معركة الطف، فهذا الصراع يأخذ مداه الأوسع ولاسيما لدى الطرف المعادي للحسين؛ وعلة ذلك وضوح الأسباب والغايات لدى الطرفين المتحاربين، فهو صراع بين الموت والجنة من جهة وبين الحياة (المال والسلطة والجاه) والنار من جهة أخرى.
- كشفت الرواية بنسقها المتخيل الغرائبي من خلال استدعاء شخصية الحسين وقتله ثانيةً، واقع الجماهير المأزومة بوعيها، تحت ظل حكومات مخادعة، فيكون الخوف تعبيراً عن هويتهم المهزومة.
- إن علة طغيان الطابع الانفعالي على ثورة المختار الثقفي، ولا سيما فيما يخص أساليب اخذ الثأر لدم الحسين من قتلته في واقعة الطف تعود لسببين: الأول أن ثورة المختار كانت قريبة زمنياً من الواقعة والدم المراق مازال طرياً، وكأنه يريد أن يقتص من خصمه بما يوازي تلك المجزرة الوحشية، والأمر الآخر أن المختار بهذا الاسلوب القاسي مع أعداء الحسين وقتلته أرسل رسالة غير مباشرة إلى الجماهير بقوة الدولة في مسك زمام الأمور.

**مصادر البحث**


- التاريخانية الجديدة، د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة / حضارة الكلمة، 2012/3/15 .
- التاريخانية الجديدة والمادية الثقافية، 1988..
- الاتجاه التعبيري في روايات نجيب محفوظ، د. العربي حسن درويش، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1989.
- استنطاق النص/ قراءات نقدية في الشعر والمسرح والرواية، تر: د. محمد درويش، دار المأمون، بغداد، 2012.
- بنية النص الروائي/ دراسة، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2010.
- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1987.
- دليل الناقد الادبي ، د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 2007.
- دم الحسين (رواية)، إبراهيم عيسى، الكرمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط26، 2014.

- رحلة دم إبراهيم عيسى صياغة أحداث التاريخ الدموية ابداعياً، طلعت رضوان، صحيفة الشروق، 2017. (صحيفة الكترونية)
- الرواية وتأويل التاريخ / نظرية الرواية والرواية العربية، فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
- زمن الشعر، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط6، 2005.
- سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، محمد بوعزة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.
- سيكولوجية السلطة، سالم العمودي، سلسة أفكار، النجف، ط1، 2000.
- سيميولوجيا الشخصية، فيليب هامون، تر: سعيد بنكراد، دار الكلام ،1999.
- الصدى والأعجوبة، ستيفن جرينبلات، 1990.
- العقل العربي، بنية وبناء /دراسة نقدية لمشروع الجابري، احمد علي زهرة، نور للطباعة والنشر، ط1، 2007.
- الغنوصية في الإسلام، هانيس هالم، تر: رائد الباش، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2003.
- قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.
- المتخيل الروائي العربي/ الجسد، الهوية، الآخر، إبراهيم الحجري، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2013.
- مدارس النقد الحديث الغربي، د. مجيد الماشطة، امجد الركابي، دار المنهجية، الاردن، ط1، 2016.
- المدخل الى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، دار الوفا، ط1، الاسكندرية، 2006.
- نوافذ نصف مضاءة، دراسة في الرواية العربية المعاصرة، د. نصرة الزبيدي، دار نينوى، دمشق، 2013.
- النظرية الأدبية، ديفيد كارتر، تر: باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، ط1، 2010.
- الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار ضفاف، بيروت، ط1، 2007.

- وعاظ السلاطين، د.علي الوردي، دار كوفان للنشر، بيروت، ط2.

References

- New Historicism, Dr. Jamil Hamdawi, Al-Aloka Network / Civilization of the Word, 3/15/2012.
- New Historicism and Cultural Materialism, 1988..
- Expressive Trend in Naguib Mahfouz's Novels, Dr. Al-Arabi Hassan Darwish, Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1989.
- Interrogation of the Text / Critical Readings in Poetry, Theater and Novel, Translated by: Dr. Muhammad Darwish, Dar Al-Mamoun, Baghdad, 2012.
- The Structure of the Novelistic Text / Study, Ibrahim Khalil, Arab House for Science Publishers, Lebanon, 2010.
- History of Nations and Kings, Al-Tabari, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 2nd ed., Beirut, 1987.
- The Literary Critic's Guide, Dr. Megan Al-Ruwaili, Dr. Saad Al-Bazie, Arab Cultural Center, Beirut, 5th ed., 2007.
- Blood of Hussein (novel), Ibrahim Issa, Al-Karma for Publishing and Distribution, Cairo, 26th ed., 2014.
- Journey of the Blood of Ibrahim Issa: Creatively Formulating the Bloody Events of History, Talat Radwan, Al-Shorouk Newspaper, 2017. (Electronic Newspaper)
- The Novel and the Interpretation of History / Theory of the Novel and the Arab Novel, Faisal Daraj, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 1st ed., 2004.
- The Time of Poetry, Adonis, Dar Al-Saqi, Beirut, 6th ed., 2005.
- Cultural Narratives from Identity Politics to Difference Politics, Muhammad Bouazza, Ikhtilaf Publications, Algeria, 1st ed., 2014.
- Psychology of Power, Salem Al-Amoudi, Ideas Series, Najaf, 1st ed., 2000.
- Semiology of Personality, Philippe Hamon, translated by: Saeed Benkrad, Dar Al-Kalam, 1999.
- Echo and Marvel, Stephen Greenblatt, 1990.
- The Arab Mind, Structure and Construction/A Critical Study of Al-Jabiri's Project, Ahmed Ali Zahra, Noor for Printing and Publishing, 1st ed., 2007.
- Gnosticism in Islam, Hannes Halm, trans. Raed Al-Bash, Al-Jamal Publications, Cologne, 1st ed., 2003.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

- Issues of the New Arab Novel, Existence and Borders, Saeed Yaqtin, Ikhtilaf Publications, Algeria, 1st ed., 2012.
- The Arab Novelistic Imagination/The Body, Identity, the Other, Ibrahim Al-Hajri, Simulation for Studies, Publishing and Distribution, Damascus, 1st ed., 2013.
- Schools of Modern Western Criticism, Dr. Majeed Al-Mashta, Amjad Al-Rikabi, Dar Al-Manhajiya, Jordan, 1st ed., 2016.
- Introduction to Contemporary Criticism Methods, Bassam Qatous, Dar Al-Wafa, 1st ed., Alexandria, 2006.
- Half-Lit Windows, A Study in the Contemporary Arab Novel, Dr. Nasra Al-Zubaidi, Nineveh House, Damascus, 2013.
- Literary Theory, David Carter, published by Basil Al-Masalmeh, Dar Al-Takween, Damascus, 1st edition, 2010.
- Description in the Novel, Abdel Latif Mahfouz, Dar Dafaf, Beirut, 1st edition, 2007.
-Preachers to the Sultans, Dr. Ali Al-Wardi, Kofan Publishing House, Beirut, 2nd edition.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 04 العدد 06 (20) 2024/11/15
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

# Novel (Blood of Hussein) A reading in the light of new historicism

By
Prof. mohammed Flaeh Al-Jebory,
Prof.Fawzeh Al-Jabry

**abstract**

The novel (Blood of Hussein) by Ibrahim Issa employs the Al-Taf incident, which is also called the Karbala incident, as a main theme of the narrative text in the body of the study. Despite the dominance of the textuality of history over the course of the narrative, we find the writer was able to cross it to the edges of the history of the text, and we want the text to maintain its boundaries. Race, even if it is overshadowed by the historical game, and we do not say the formula; Because the writer intentionally wanted it to be a game and not a formula for an artistic goal, and here the novelist has employed the historical text in the service of the fictional text and not the other way around. The novel does not chronicle the historical event as much as it employs history in serving the course of the narrative event. Despite the dominance of the historical event over the novel, it remains within the orbit or framework of the narrative, not the historical novel. Because of the clarity of the creator's purpose in evoking this historical incident and no other. This study, entitled "The Novel (Blood of Hussein) read in the Light of New Historicism," aims to clarify the interpretive reading and questions that are left unanswered in the novel's narratives and how to employ the historical event in building the plot of the novel. The research was based on several axes that dealt with the concept of new historicism and what is related to its features, as well as the historicity of the novel. , And the mechanisms of producing narrative meaning from the historical document, as well as the psychological-ideological conflicts and the imagined format in which the main theme of the novel was revealed despite its small written space.

The study reached results, the most important of which are: the writer's awareness of the importance of the historical event in constructing the narrative text The prevalence of psychological and ideological conflict over the characters of the main novel, and the designation of the narrative genre to naturalize this novel, in addition to the storyteller's attempt not to surrender to the historical event as it is, but on the contrary, he seeks to discuss and refute it on many occasions.

**Keywords**: Novel, Blood of Hussein, Historicism, New